

البيوتات العلمية بقسنطينة وبجاية في ظل الحفصيين.

~~~~~ دة. فوزية لزغم \*

مقدمة: كانت بجاية وقسنطينة وكذا عنابة بمثابة العواصم الإقليمية في القسم الشرقي من المغرب الأوسط التابع للدولة الحفصية<sup>(1)</sup>، إلا أن مقاطعتي قسنطينة وبجاية كانتا تتمتعان باستقلال ذاتي في تسيير شؤونهما، وكانت البلدان الأوربية مطلعة على مدى ما كان يتمتع به الأمراء - الولاة - من حرية فائقة، ولهذا كانت تتعامل معهم كأمرأء مستقلين، وتنتعهم "بالمملك"، ولم يكن للسلطة المركزية في تونس إلا السيادة الاسمية عليهما، وظهرت بهما الرغبة إلى الانفصال في أشكال مختلفة من التدرج نحو الاستقلالية، ويتطرق برانشفيك إلى الموضوع بقوله: "كانت الرغبة الإقليمية المحلية متطابقة مع طموح الأمراء، فكانت تشجع ذلك الطموح وتسعى لإثارتها، وكانت قسنطينة وبجاية متعلقتين بأولئك الأمراء الذين عاشوا فيها مدة طويلة، وجعلوا منهما مركزين مزدهرين، بفضل حضورهم بهما مع حاشيتهم، وكانوا يغذون طموحاتهما الجماعية التي لم تهدأ، وإثر وفاة أحدهم تسرع المدينتان المذكورتان إلى المطالبة بتعويض الأمير الراحل بابنه الذي يكون أحيانا مولودا هناك. وهكذا تتفاقم الأسباب الدائمة أو العرضية الداعية إلى الانفصال عن السلطة المركزية، بظهور فكرة تكوين عائلة حاكمة من الولاة المحليين"<sup>(2)</sup>.

هذا من الناحية السياسية؛ أما من الناحية الثقافية فتعد قسنطينة وبجاية أيضا من أهم الحواضر العلمية بالمغرب الأوسط إلى جانب تلمسان، وقد برز بها خلال تلك الفترة عدد من البيوتات والأسر العلمية التي ساهمت في تنشيط الحركة العلمية بها، كتب برنشفيك في هذا الموضوع قائلا: "ظهر اتجاه جديد أبرز مما كان في الماضي يتمثل في تكوين عائلات مشهورة من العلماء، إذ برزت في كل مدينة من المدن الثقافية الكبرى بعض السلالات من الفقهاء"<sup>(3)</sup>.

\* أستاذة محاضرة ب- شعبة التاريخ - قسم العلوم الإنسانية - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة ابن خلدون - تيارت.

والبيوتات العلمية هي أسر منتفذة أنجبت العديد من العلماء والفقهاء والأدباء الذين تصدوا للتدريس والتأليف والإفتاء والقضاء، وغيرها من المجالات العلمية والثقافية، ونظرا لاعتماد الدول في تلك الفترة على العلماء والأدباء في أجهزتها ككتاب ووزراء وحجاب فقد ساهمت العديد من البيوتات العلمية أيضا في السياسة.

أ- البيوتات العلمية بمدينة قسنطينة في ظل الحفصيين: كان أغلب سكان مدينة قسنطينة من الحضرة، واستطاعت العديد من عائلاتها أن تُحصّل ثروات كبيرة، سيما العائلات القرية من السلطة، أو تلك التي تشتغل بالتجارة<sup>(4)</sup>، وبالتالي الجاه والمكانة الاجتماعية المرموقة، وبذلك تكونت بيوتات قسنطينة التي اشتهرت بالتنافس فيما بينها حول النفوذ والامتيازات في المدينة، والحادثة التي أوردها ابن قنفذ - وهو أحد أبناء بيوتات قسنطينة - في كتابه "الفارسية" كاف لتأكيد تلك المنافسة، ومفادها أن الأمير الحفصي أبا زكريا<sup>(5)</sup> في آخر القرن السابع الهجري (13م) مرض مرة بقسنطينة، وبعد شفائه قدم إليه وفد من أهل بجاية للتهنئة، يرأسهم الفقيه أبو العباس الغبريني، ووفد من أهل قسنطينة برئاسة الفقيه ابن الديم، فدخل وفد بجاية وتلاه وفد قسنطينة، إلا أن الوفد البجائي دخل بوقار وأدب مع قاضيه ورئيسه، في حين دخل القسنطينيون وهم يتزاحمون مع قاضيهم كأنه واحد منهم، وكل واحد يريد أن يكون الموالي للسلطان في جلوسه، فعلق قاضي بجاية على ذلك قائلا لقاضي قسنطينة: "رأيت أدب أهل بلدنا معي، وأنت لا وقار لك مع أهل بلدك"، فردّ عليه هذا الأخير مُبيناً سبب تلك المزاحمة بقوله: "إن فقهاءكم مُحَدَّثُونَ ببلدكم، وهؤلاء كل بيت ترى أنها أرفع من الأخرى بأصالتهم في بلدكم وقَدَمَ نعمتهم"<sup>(6)</sup>.

وجواب ابن الديم يؤكد ترفع البيوتات عن بعضها بمكانتها في المدينة بأصالتها وجاهاها، وإن كانت هذه المنافسة بين الأسر القسنطينية لا تخلو من سلبيات، فإن من أهم إيجابياتها أنها وفرت للبلاد عددا كبيرا من رجال العلم من الفقهاء والأدباء، ومن أشهر البيوتات العلمية في المدينة آنذاك: بيت ابن قنفذ، بيت الفكون، بيت ابن باديس، بيت الكماد.

1- بيت ابن قنفذ القسنطيني: شهرة هذا البيت بيت ابن قنفذ قديمة ولا يُعرف لها سبب<sup>(7)</sup>، وقد كان هذا البيت ميسور الحال أو بعض أفراده على الأقل، وذلك ما نستخلصه من حديث علي بن حسن بن قنفذ (ت733هـ/1332م) لابنه عند دنو أجله بقوله: "أبقيت لك عددا من

الدور والجناح والأرضين وغير ذلك..."<sup>(8)</sup>. أنجب بيت ابن قنفذ العديد من العلماء، اشتغل جلهم بالإمامة والخطابة، وقد ذكرت المصادر أربعة منهم.

أول أبناء هذا البيت ذكرا في المصادر هو المحدث الفقيه حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ (664هـ/1265م)، وهو من أعيان قسطنطينة، وهو جدّ والد ابن قنفذ صاحب كتاب "الوفيات"، ذكره هذا الأخير في كتابه وأثنى عليه<sup>(9)</sup>. ومنهم ابنه الشيخ علي بن حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ (733هـ/1333م)، وهو أيضا جد صاحب كتاب "الوفيات"، والد والده، ولي الخطابة بجامع القصبه بقسطنطينة<sup>(10)</sup> مدة تقرب من ستين سنة<sup>(11)</sup>، كما ولي القضاء بقسطنطينة، ثم استعفى فأعفي<sup>(12)</sup>.

ومنهم ابنه الشيخ حسن بن علي بن حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ (750هـ/1349م)، وهو والد صاحب كتاب "الوفيات"، فقيه محدث، تعلم بقسطنطينة وبجاية، ثم رحل إلى المشرق مرتين. تولى الخطابة بعد والده، كما اشتغل بالتدريس، وذلك ما ذكره ابنه في كتابه "أنس الفقير": "وما زال والدي... مشغولا بطلب العلم وتدريسه ببلده مقتديا بسمته بطريقة أبيه وجده حتى لقي الله تعالى"<sup>(13)</sup>، وقد ساهم في التأليف، ومن آثاره "المسنون في أحكام الطاعون"، "المسائل المستورة في النوازل الفقهية"<sup>(14)</sup>.

وأشهر علماء بيت ابن قنفذ هو الشيخ أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن حسن بن علي بن ميمون (ت 810هـ/1407م)<sup>(15)</sup>: اشتهر بابن الخطيب، وبابن قنفذ القسطنطيني، وسبب شهرته بابن الخطيب توّلي كل من جده ووالده الخطابة لمدة طويلة، وصفه صاحب نيل الابتهاج بـ: "الإمام العلامة المتفنن الرحلة القاضي الفاضل"<sup>(16)</sup>.

ولد بمدينة قسطنطينة في حدود سنة 740هـ/1339م<sup>(17)</sup>، وأخذ العلم بها على مشيختها، كما أخذ عن علماء تلمسان، وقد دفعه حب الرحلة والاستطلاع إلى عقد رحلة علمية إلى المغرب الأقصى؛ فرحل عن قسطنطينة سنة 759هـ/1357م، واستقر به لمدة ثمانية عشر سنة، أخذ على أجلة علمائه وكبار مدرسيه، وفي سنة 786هـ/1384م عاد إلى قسطنطينة، وتقلد خطة الخطابة في جامع القصبه كأسلافه، كما تولى القضاء والفتيا<sup>(18)</sup>. وعكف على نشر العلم بالتدريس والتأليف إلى أن توفي، ومن تلامذته العلامة ابن مرزوق الحفيد<sup>(19)</sup>.

يعد ابن قنفذ من أبرز العلماء في عصره، وقد كان متصلا اتصالا وثيقا بفرع الدولة الحفصية المنتصب في قسطنطينة، وتمتع بحظوة كبيرة لديهم، ولما نقرأ مراسيم الاستقبال الرسمية

في البلاط الحفصي بتونس، ونظام التقدم المعمول به ندرك تلك الخطوة، ومنها مراسيم استقبال السلطان أبي بكر لابنه الأمير أبي عبد الله والي قسنطينة، ومن كان "معه من وجوه من صحبه" سنة 734هـ/1334م؛ فقد دخل المزوار القائد أولاً، ثم دخل الفقهاء الثلاثة "القاضي والشيخ ابن القنفذ والفقيه الطبيب"، ثم الكاتب، ثم بقية القواد والخواص ووجوه الفرسان<sup>(20)</sup>.

ألف مترجمنا في فنون شتى، حتى وصفه برنشفيك بـ: "المؤلف الذي كتب في جميع المواضيع"<sup>(21)</sup>، وقد بلغت مؤلفاته 27 مؤلفاً حسبما ذكره هو بنفسه في كتابه "الوفيات"، وعدّها بعضهم 34 مؤلفاً، منها: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية الذي ألفه سنة 806هـ/1403م وأهداه للسلطان أبي فارس وأطلق عليه اسمه<sup>(22)</sup>، الوفيات، تحفة الوارد في اختصاص الشرف من قبل الوالد، تسهيل المطالب في تعديل الكواكب، طبقات علماء قسنطينة، أنس الفقير وعز الحقيّر<sup>(23)</sup>.

2- بيت ابن باديس: وهو أحد البيوتات الحضرية المشهورة بقسنطينة بالعلم والثراء، إلى جانب اتجاه الاجتماعي والروحي، وأول حضور سجلته المصادر لأفراد هذا البيت هو ما ذكره العبدري في رحلته حين دخل قسنطينة في سنة 688هـ/1289م، والتقى بها بالشيخ أبي علي حسن بن بلقاسم بن باديس القسنطيني، ووصفه بقوله: "شيخ من أهل العلم يذكر فقها ومسائل، ذا سمت وهيبة ووقار بقسنطينة"<sup>(24)</sup>. وما يستوقفنا قول العبدري بشأن هذا العالم: "ولم أر بها من ينتمي إلى طلب، ولا من له في فن من فنون المعارف أرب، سوى الشيخ أبي علي حسن بن بلقاسم بن باديس" إلى أن قال: "وليس في البلد من يذكر بعلم سواه البتة"، ولا يمكن تفسير ما ذهب إليه العبدري إلا بشهرة ابن باديس العلمية، والتي غطت على معاصريه في قسنطينة خلال هذا القرن.

ذكرت كتب التراجم عالماً آخر من البيت الباديسي عاش خلال القرن 8هـ/14م، وهو يحمل نفس الاسم والكنية التي حملها الشيخ الذي ذكره العبدري في رحلته خلال القرن 7هـ/13م، ولولا الفارق الزمني بينهما لما تيسر التفريق بينهما، والعالم الذي نعيه هو الشيخ أبو علي حسن بن أبي القاسم بن باديس القسنطيني (ت 787هـ/1385م)<sup>(25)</sup>.

وما يزيل اللبس فهاثبا إشارة ابن قنفذ في "الوفيات" إلى عالم آخر من أعلام هذا البيت، وهو حسن بن خلف الله ابن حسن ابن أبي القاسم ابن باديس؛ والذي أرّخ وفاته بسنة 784هـ، قال: إته ابن عم وابن خالة الشخصية التي نحن بصدد ترجمتها؛ والتي حملت نفس اسم

وكنية شخصية القرن 7هـ/13م، مع العلم أن الاثنين كانا متعاصرين. وعليه فإن ذلك يقتضي أن يكون نسب مترجما بهذا الشكل: حسن ابن أبي القاسم بن الحسن ابن أبي القاسم بن باديس، أي أن الأول هو الجد والثاني هو الحفيد.

ولد الشيخ أبو علي حسن بن باديس بقسنطينة سنة 701هـ/1301م وتعلم بها وبجاية<sup>(26)</sup>، ثم رحل إلى المشرق وأخذ عن علمائه، وصفه ابن الخطيب القسنطيني بقوله: "شيخنا الفقيه القاضي الشهير احدث أبو علي"<sup>(27)</sup>. ولي قضاء الجماعة بتونس حاضرة الحفصيين لأزيد من ثلاث سنوات، إلى أن طلب هو الإعفاء من هذا المنصب فأعفي<sup>(28)</sup>.

إن ارتقاء ابن باديس إلى منصب قاضي الجماعة بعاصمة المملكة الحفصية يدل على تلك المكانة والشهرة التي كان يحظى بها ابن باديس في أوساط المملكة في عصره، وإذا عرفنا أن قاضي الجماعة كان الممثل لأعلى سلطة دينية في كامل البلاد، أدركنا المكانة التي تمتع بها ابن باديس وبيته، إذ يعتبر صاحب هذه الخطة من أبرز رجال الدولة<sup>(29)</sup>.

أما مشاركته في المجال السياسي فتمثلت في معارضته حملة السلطان المريني أبي عنان سنة 758هـ/1356م على مدينة قسنطينة، ورغم محاولة هذا السلطان التقرب إليه وكسب رضاه إلا أنه عارض الوجود المريني، وهذا ما دفع أبا عنان إلى سجنه، ثم تغريبه عن بلده، وكذلك سجن أخاه أبا القاسم بن باديس<sup>(30)</sup>.

ساهم في التأليف من خلال بعض التقايد ومنها: شرح مختصر ابن فارس في السيرة، شرح لكتاب أوجز السير لخير البشر لأحمد القزويني، والنفحات القدسية<sup>(31)</sup>.

أما سميّه وابن عمه وابن خالته أبو علي حسن بن خلف الله بن حسن بن أبي القاسم بن ميمون بن باديس (ت 784هـ/1382م)، فولد في حدود سنة 707هـ/1307م، وقد وصفه تلميذه ابن قنفذ القسنطيني بـ: "شيخنا الفقيه القاضي العدل الخطيب"<sup>(32)</sup>. ولي قضاء قسنطينة واستمر به إلى وفاته<sup>(33)</sup>.

إن تولى اثنين من البيت الباديسي القضاء في قسنطينة يوحي بأن الأسرة الباديسية كانت تستأثر بخطة القضاء في قسنطينة خلال القرن الثامن الهجري.

3- بيت ابن الكماد القسنطيني: يعد بيت بني الكماد من بيوتات قسنطينة البارزة، تولى عدد من أبنائه وظائف مهمة في جهاز الدولة الحفصية كنظارة الأشغال بالحضرة، والكتابة لدى ولاية

قسنطينة الحفصيين وبالحاضرة تونس، ووظيفة الكتابة من المناصب الرفيعة في الدولة. وإن أغفلت كتب التراجم فقهاء هذا البيت فإن كتب التاريخ السياسي تشير إلى ثلاثة منهم. وأول إشارة سجلت لأبناء هذا البيت في المصادر كانت خلال القرن 8هـ/14م، بحيث ذكر الزركشي الكاتب إبراهيم بن عبد الكريم ابن الكماد، هو من أعيان قسنطينة وكتابه، ولي الكتابة للسلطان أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصي<sup>(34)</sup> أحد كبار السلاطين الحفصيين، أما المناسبة التي ذكره فيها فهي لما ورد هذا السلطان إلى تونس من قسنطينة ليتولى الحكم بها سنة 772هـ/1370م كان برفقته بعض أصحابه، و"من خواصه الواصلين معه أربعة"، منهم "الكاتب أبو إسحاق إبراهيم بن أبي محمد عبد الكريم بن كماد من كبار قسنطينة"<sup>(35)</sup>، ونفس الرواية أوردها ابن قنفذ وزاد عليه بوصف ابن الكماد بـ "الكاتب العاقل". والنص كما هو: "وقرب من خدامه الواصلين معه إلى الحضرة أربعة... والكاتب العاقل أبا إسحاق إبراهيم ابن الفقيه الحظي المشرف المشكور أبي محمد عبد الكريم بن الكماد من وجوه بلدنا"<sup>(36)</sup>.

وبالاستناد إلى روايتي الزركشي وابن قنفذ فإن ابن كماد هذا ووالده من أعيان قسنطينة ومن كبارائها، وأن والده من فقهاء البلد، كما أن وصف والده بـ "الحظي" تدل على مكانته لدى السلطة.

وتشير مصادر تلك الفترة إلى شخصية أخرى من بيت الكماد خلال القرن 8هـ/14م، وهو أحمد بن الكماد، الذي كان كاتباً<sup>(37)</sup> للأمير أبي يحيى بكر بقسنطينة، وقد لعب دوراً في الأحداث الواقعة بها، فلما تولى السلطان أبي فارس عبد العزيز بن السلطان أحمد - وهو من مواليد قسنطينة - عرش الدولة الحفصية سنة 796هـ/1374م عين على قسنطينة أخاه الأمير أبا يحيى بكر، وكان على بونة ابن عمه الأمير أبو عبد الله محمد بن أبي يحيى زكريا.

فأما الأمير أبي يحيى في قسنطينة فقد "اقتصر على راحته، فظهرت كلمة العرب، وفتحوا باب الطمع والطلب، وزين لهم الكاتب أحمد بن الكماد كل نوع من أنواع الفساد، ثم توجه أحمد بن الكماد مع بعض الأعراب إلى صاحب بونة الأمير أبي عبد الله بن المولى أبي يحيى زكريا، وحضه على المبادرة إلى ملك قسنطينة"، فأخذ الأمير أبو عبد الله برأيهم واتجه لقسنطينة سنة 796هـ/1393م، وحاصرها لأكثر من ثلاثة أشهر، إلا أن السلطان أبا فارس تغلب عليه سنة 797هـ/1394م، ففر الأمير أبو عبد الله إلى فاس مُستصرخاً، بينما قام أبو بكر أمير قسنطينة

بخلع نفسه<sup>(38)</sup>. أما أحمد بن الكماد الكاتب المدبر لهذه المؤامرة فلم نخبرنا المصادر التي أوردت هذا الخبر بأي شيء عن مصيره بعد إحباطها، فهل تراه قتل في تلك المعارك.

وذكر أبو عبد الله محمد الزركشي شخصية أخرى من هذا البيت خلال القرن التاسع الهجري، وهو الفقيه محمد الكماد، وقد ذكره مرتين الأولى في أحداث عام 857هـ/1453م، قائلاً: قدم إلى الحاضرة تونس "الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الكماد ناظراً في الأشغال بالحضرة"<sup>(39)</sup>، وذكره مرة أخرى في أحداث عام 868هـ/1463م، أي بعد أكثر من عشر سنوات من ذكره الأول، بحيث عزل الناظر في بيت الحساب في شهر رمضان من السنة المذكورة، "وقدم الفقيه محمد بن الكماد بها ودار الأشغال"<sup>(40)</sup>. ويعد هذا المنصب من المناصب الكبرى في الدولة، بحيث كان الناظر في الأشغال هو رئيس إدارة المالية<sup>(41)</sup>، وهو بمثابة وزير المالية<sup>(42)</sup>.

ومن علماء هذا البيت المخضرمين بين العهدين الحفصي والعثماني الشيخ أبو حفص عمر بن محمد الخزرجي الأنصاري الكماد، المعروف بالوزان (ت 965هـ/1557م)<sup>(43)</sup> الذي ذاع صيته في الآفاق. يعد أبو حفص عمر الوزان أبرز علماء قسنطينة في عصره، ليس كرجل علم فحسب بل اعتبره معاصروه أحد المتصوفة الكبار، ولذلك أورد الفكون بعض كراماته في كتابه "منشور الهداية" الذي افتتحه به ووصفه بـ: "شيخ الزمان، وياقوتة العصر والأوان، العالم العارف بالله الرباني أبي حفص عمر الوزان... كان مجراً لا يجارى في العلوم فقها وأصولاً ونحواً وحديثاً، وله في طريق القوم اليد الطولى"<sup>(44)</sup>، أي في التصوف. كما وصفه المنجور بقوله: "كان هذا الرجل آية الله يبهز بها العقول في تحقيق المعقول والمنقول"<sup>(45)</sup>.

لا شك في أنه كان مجانباً لمخالطة رجال السلطة، رافضاً للوظائف الرسمية، بحيث اعتذر لحسن آغا باشا الجزائر عن قبول وظيفة القضاء حين عرضت عليه، وكان ذلك سنة 948هـ/1541م، ويمكن أن نتساءل إن كان رفض الوزان لوظيفة القضاء لإيمانه بخطورتها كما كان الأمر عند علماء السلف، أو هو تعبير عن موقف سياسي برفضه للسلطة العثمانية. ويصبح السبب الثاني غير مستبعد متى عرفنا أن بيت الكماد خدم السلطة بقسنطينة لمدة طويلة، وأن الوزان نفسه ألف كتاباً للرد على المرباط عرفة القيرواني الذي ثار على الحفصيين سماً "الرد على الشايبية"<sup>(46)</sup>.

كرّس الوزان وقته للتدريس بقسنطينة، فكانت تشد إليه الرحال، وكثر المتخرجون عليه، وأثر في جيله بل في الأجيال اللاحقة تأثيراً كبيراً من خلال طلبته، ورغم شهرته فإنه لم يكن من الكثيرين من التأليف، ومع ذلك ترك بعض المصنفات منها البضاعة المزجاة، الرد على الشبوية أو الشايبية ختمه بالتصوف، حاشية على شرح صغرى السنوسي<sup>(47)</sup>.

4- بيت الفكون: يعد بيت الفكون من البيوتات العلمية العريقة بقسنطينة، وفي ترجمة الغبريني لأحد أسلاف هذا البيت الشيخ الشاعر أبو علي حسن بن علي المعروف بابن الفكون، أن "أصله من قسنطينة من ذوي بيوتاتها، ومن كريم أروماقها"<sup>(48)</sup>، يؤكد هذا النص أن نشأة هذا البيت واشتهار أبناؤه بالنباهة سابق بكثير على الفترة التي عاش فيها جدهم هذا.

أنجب بيت بني الفكون عدداً من العلماء، ومن أشهرهم ذكرا الشيخ أبو علي حسن بن علي بن عمر الفكون القسنطيني الذي كان حياً 602هـ/1205م). وهو شاعر المغرب الأوسط في وقته، ذكره برنشفيك بقوله: "في عهد أبي زكريا برز الشاعر أبو الحسن بن الفكون الذي ينتمي إلى عائلة ماجدة من قسنطينة"<sup>(49)</sup>، كما وصفه الغبريني بأنه من "الأدباء الذين تُستظرف أخبارهم وتروق أشعارهم، غزير النظم والنثر"، وبأنه: "من الفضلاء النبهاء، وكان مرفع المقدار، وله من الحظوة والاعتبار". أما ديوانه فهو "موجود بين أيدي الناس ومحبوب بينهم"<sup>(50)</sup>. وللشيخ أبو علي حسن الفكون رحلة مشهورة نظمها في رحلته من قسنطينة إلى مراكش<sup>(51)</sup>، ضمنها ذكر المدن التي مر بها<sup>(52)</sup>، هذه الرحلة مشهورة جداً سيما وأن صاحبها مدح بمراكش الخليفة ابن عبد المؤمن.

وذكر عبد الكريم الفكون في "منشور الهداية" اثنين من أجداده المتقدمين وهما عبد الرحمن الفكون، ومحمد شقرون بن حليلة، فأما الأول منهما فهو مدفون بزاوية الفكون القديمة التي تنازلوا عنها لأصهارهم عائلة ابن نعمون، وقد وصفه بـ "الجد العبد الفقير إلى الله"<sup>(53)</sup>، ويريد بذلك أنه من الصالحين.

وأما الثاني فهو محمد شقرون بن حليلة، وهو جد الشيخ عبد الكريم الفكون الجد (ت988هـ/1580م)، وهو دفين رحبة قسنطينة المسماة بأكدال، "وهو من الصلحاء"، ويعود إليه الفضل في بناء مدرسة الأسرة التي دفن فيها الشيخ عبد الكريم الفكون الجد كما هو مبين في هذا النص: "وهي (أي المدرسة) في الأصل محدثة البناء لجده سيدي محمد شقرون دفين رحبة البلد، وكان من الصلحاء ومن عمر"<sup>(54)</sup>.

وقد استمرت هذه البيوتات خلال العهد العثماني، وأنجبت عددا من العلماء الذين نشطوا الحركة العلمية بالمدينة، كما كان ببجاية خلال الفترة الوسيطة عدد من البيوتات العلمية.

ب- البيوتات العلمية ببجاية في ظل الحفصيين: اصطبغت البيوتات العلمية ببجاية في ظل الحفصيين بالصبغة السياسية أكثر من الصبغة العلمية، وقد كان لها على قلتها بمقارنتها مع بيوتات تلمسان أدوارا سياسية بارزة، حتى أن بعض أبناء هذه البيوتات من الولاة والحجاب تحولوا إلى مستبدين بالسلطة في بجاية، كما فعل ابن سيد الناس<sup>(55)</sup>. كما أن أغلب هذه البيوتات ذات أصول أندلسية، لأن سياسة البيت الحفصي الحاكم ارتكزت على اصطناع الأندلسيين، فأسندوا إليهم أعلى المناصب في الدولة: الوزارة، الكتابة، الحجابة، الولاية. والبيوتات العلمية ببجاية في ظل الحفصيين عديدة نذكر منها: بيت ابن خلدون، وبيت المشدالي، وبيت ابن سيد الناس اليعمري، وبيت القاضي الغبريني.

1- بيت المشدالي: يعد بيت المشدالي من أشهر البيوتات العلمية ببجاية خلال العهد الحفصي<sup>(56)</sup>، و"المشدالي بفتح الميم المعرفة وشدة الدال، نسبة لقبيلة من زواوة"<sup>(57)</sup>. وقد رصدت المصادر أربعة من علماء هذا البيت وهم:

الشيخ بلقاسم (أبو القاسم) بن محمد بن عبد الصمد الزواوي المشدالي البجائي، ذكر أحمد التيبكي بأنه "كان موصوفا بحفظ المذهب، وهو في بجاية كالبرزي بتونس"، انتصب للتدريس فانتفع به جماعة منهم الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، وولده العلامة محمد بن أبي القاسم<sup>(58)</sup>.

أما ابنه أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد المشدالي (ت 866هـ/1461م)، فهو من علماء بجاية الأعلام، تولى الخطابة بالجامع الأعظم ببجاية، وتصدى للفتوى والتدريس بالمدينة نفسها، كان إماما كبيرا مقدما على أهل عصره في الفقه وغيره، كما كان ذو وجاهة عند صاحب تونس. أخذ عنه جماعة من الأئمة منهم العالم محمد بن مرزوق الكفيف وولديه. خلف بعد وفاته عدة تأليف منها تكملة حاشية أبي مهدي عيسى الوانوعي على المدونة، ومختصر البيان لابن رشد، وله فتاوى في الدرر المكنونة والمعيار<sup>(59)</sup>.

وقد عرف له اثنان من أبنائه العلماء توفيا قبله، وهما: الفقيه محمد بن محمد بن أبي القاسم (ت 859هـ/1454م)<sup>(60)</sup>، وشقيقه العلامة أبو الفضل محمد بن محمد بن أبي القاسم المشدالي (ت 865هـ/1460م). أخذ هذا الأخير عن مشيخة بجاية ومنهم والده، ثم رحل إلى تلمسان،

وأخذ عن بعض أعلامها كابن مرزوق الحفيد، وأبي القاسم العقباني وغيرهما. وصف بالذكاء والتفوق في العديد من العلوم، من ذلك وصف السيوطي له بأنه: "أحد أذكى العالم"، كما وصفه القلصادي بقوله: "الإمام الفذ في وقته ذي العلوم الفائقة، والمعاني الرائقة"<sup>(61)</sup>. من مؤلفاته شرح جمل الخونجي في المنطق<sup>(62)</sup>.

2- بيت بني خلدون: يمكن اعتبار بيت بني خلدون من بيوتات بجاية لكونها محطة مهمة لرجال هذا البيت رغم تنقلهم بين مختلف عواصم الغرب الإسلامي. يُعرف بنو خلدون نسبة إلى جدهم خالد بن عثمان بن هاني<sup>(63)</sup>، الذي سمي بخلدون على الطريقة الأندلسية، إذ كان أهلها يضيفون إلى الاسم واوا ونونا تعظيما لصحابه. برز بنو خلدون بمدينة إشبيلية، وتولى بعضهم قيادة الجيش الأندلسي<sup>(64)</sup>، واستطاعوا تكوين ثروة، وتدخّلوا في السياسة، فكان يبتهم في أواخر القرن الثالث الهجري من البيوتات التي انتهت إليها النباهة والرياسة والسؤدد في الأندلس، واحتفظوا بمكانة رفيعة لقرون عدة.

ومن أبرز أبناء هذا البيت كُرَيْب بن خلدون، الذي تمكن من الاستقلال بإشبيلية كإمارة خاصة تكاد تكون مستقلة عن قرطبة دار الإمارة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، ولكن لم تطل مدة إمارته إذ انتهى به الأمر قتيلا على إثر ثورة شعبية ضده. إن فقدان بيت بني خلدون للإمارة لم يُفقد مكناتهم ضمن بيوتات إشبيلية المتنفذة بجاهها وثروتها وعراقتها، الأمر الذي ساهم في ظهورهم من جديد فكان منهم الوزراء لأكبر إمارة من ملوك الطوائف، وهي إمارة بني عبّاد أصحاب إشبيلية، وذلك ما ورد على لسان ابن خلدون بقوله: "ولما علا كعب ابن عباد بإشبيلية، واستبد على أهلها استوزر من بني خلدون هؤلاء الوزراء واستعملهم في رتب دولته". ويؤكد ابن حيان القرطبي (ت 469هـ/1076م) في كتابه المقتبس منزلتهم في عصره بقوله: "وبيت بني خلدون إلى الآن في إشبيلية نهاية في النباهة، ولم تزل أعلامه بين رياسة سلطانية ورياسة علمية"<sup>(65)</sup>.

ولما انتقل بنو خلدون لبلاد المغرب كان لهم به من الرياسة ما كان لأسلافهم بالأندلس، فتقربوا من الحكام الذين أقطعوهم الإقطاعات، وعينوهم في المناصب الرفيعة كالحجابة والأشغال والكتابة والخطابة وغيرها من الوظائف.

عندما أخذ خطر نصارى الشمال يهدد مدينة إشبيلية، قرر بنو خلدون الجواز إلى العدو المغربية، ونزلوا بمدينة سبتة، وأول الداخلين إليها هو الحسن بن محمد (ت 647هـ) الجد الثالث لعبد الرحمن بن خلدون، والذي كانت له علاقات وطيدة مع رؤساء بني حفص أمراء إفريقية، ولهذا

غادر ستة متجها إلى إفريقية، فأكرم وفادته الأمير الحفصي أبو زكريا وأداناه منه، وأجزل له العطاء، وأقطعه إقطاعات جليلة بضواحي مدينة بونة<sup>(66)</sup>.

وكان ابنه أبو بكر محمد الحسن بن محمد بن خلدون (ت 681هـ/1282م) هو الآخر مقربا من السلاطين الحفصيين، بحيث عُيِّن صاحب الأشغال في ذي الحجة سنة 678هـ/1279م<sup>(67)</sup>، وهذه الوظيفة هي بمثابة وزير المالية، ولما فوض السلطان أبو إسحاق ابنه وولي عهده أبو فارس عبد العزيز إدارة شؤون بجاية سنة 679هـ/1280م، اختار لحجابه ابن صاحب أشغاله وهو محمد بن أبي بكر بن خلدون، فانتقلا معا إلى بجاية، ولم تمض سنة على ولاية أبي فارس بجاية حتى خلع صاحب قسنطينة أبو بكر بن موسى الشهير بابن الوزير طاعة الحفصيين وأعلن الثورة عليهم، فعهد السلطان لصاحب بجاية بإخماد هذه الثورة، فبذل في ذلك جهودا كبيرة وضرب عليها حصارا منذ سنة 681م/1282م، فاستصعب عليه أمرها، فكان من أمر محمد بن خلدون حاجبه أن تسوّر البلد بفارسانه، واخترق دفاعاتها، وقتل ابن الوزير وأعوانه لينهي هذه الثورة<sup>(68)</sup>.

وكان محمد بن خلدون قد طلب أن يُعفى من الحجابة ليعود إلى تونس، وبعد ثورة أحمد بن مرزوق المعروف بالدّعي ابن عمارة المسيلي الذي تمكن من الاستيلاء على تونس سنة 681هـ قبض على أبي بكر بن خلدون صاحب الأشغال فأذاقه أصنافا من العذاب حتى يُقر له بمكان أمواله وأموال الدولة التي كان يشرف عليها، فلما يتس منه قام بقتله<sup>(69)</sup>.

أما ابنه محمد بن أبي بكر محمد الحسن بن محمد بن خلدون (ت 737هـ/1336م)، وهو الجد "الأقرب" لعبد الرحمن بن خلدون. كان السلطان أبو إسحاق قد عينه سنة 679هـ/1280م حاجبا ببجاية لابنه وولي عهده أبي فارس عبد العزيز<sup>(70)</sup>، وخلال ثورة الدعي ابن عمارة فرّ محمد بن أبي بكر بأسرته مع السلطان أبي إسحاق إلى بجاية، وخرج لقتال الدعي مع السلطان الجديد أبي فارس، وقد قتل في هذه الفتنة السلطان وإخوته، ونجا أبو حفص ابن الأمير أبي زكريا فحمله ثلاثة من المقربين منه إلى قلعة سنان معقل هوراء، منهم محمد بن أبي بكر بن خلدون<sup>(71)</sup>.

اتخذ أبو حفص قلعة سنان قاعدة للنهوض بالدولة من جديد، والقضاء على ثورة الدعي، وذلك ما تحقق له سنة 683هـ/1284م، واعترافا بالجميل أقطع السلطان محمد بن خلدون إقطاعات في تونس "ونظمه في جملة القواد"<sup>(72)</sup>، وظلّ يحظى بالتقدير هو وبنوه لدى السلاطين الحفصيين إلى وفاته.

في حين سلك ابنه أبو بكر محمد بن محمد بن أبي بكر (ت 750هـ/1349م) والد عبد الرحمن المؤرخ مسلماً مغايراً لما عرف به البيت الخلدوني، فأمضى حياته بعيداً عن السياسة، منصرفاً للزهد والعلم، واشتهر بنبوغه في العربية وفنون الأدب والشعر. وعرف له من الأبناء ثلاثة وهم: عبد الرحمن، يحيى، ومحمد. نشأ الإخوة الثلاثة في كنف بيتهم العريق، وكان من شأن تلك البيئة أن تولد في نفوسهم حب العلم والرياسة، فتعلموا صناعة العربية على والدهم<sup>(73)</sup>، وتخلوا مختلف العلوم على عدد كبير من العلماء والمشايخ<sup>(74)</sup> من أهل تونس ومن الطائرين عليها.

فأما ابنه عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت 808هـ/1405م)<sup>(75)</sup> فتقلب في المناصب السياسية والعلمية والدينية في بجاية وفاس وتونس والأندلس ومصر، إلا أن الوظائف الحكومية والمغامرات السياسية استأثرت بأكبر قسط من نشاطه. ومن أهم الوظائف التي تولاها: الحجابة وخطبة المظالم، والكتابة والإنشاء والخطابة<sup>(76)</sup>.

نال عبد الرحمن بن خلدون رفعة وحظوة لدى الكثير من السلاطين، ودفع ثمن تلك الخطوة في الكثير من المرات بالسجن حيناً وبالغزل حيناً آخر. إن تقلبات الدول ومؤامرات القصور والبلابات جعلت ابن خلدون يقرر اعتزال السياسة، ليتفرغ منذ حوالي عام 776هـ/1374م للتأليف، وللعلم تعليماً وتعلماً، وفي سنة 784هـ/1382م رحل ابن خلدون إلى المشرق<sup>(77)</sup>، واستقر بمصر إلى حين وفاته، فكان له حظوة لدى رجال الدولة بها، حتى أنهم ولوه منصب قاضي قضاة المالكية خمس مرات<sup>(78)</sup>.

إن اشتغال ابن خلدون بالكتابة أظهر قريحته في مجال الأدب، وموهبته في صناعة الشعر، وعبر عن ذلك بقوله: "أخذت نفسي بالشعر فانتال علي منه بحور توسطت بين الإجادة والقصور"، فترك عدة قصائد في أغراض شعرية مختلفة<sup>(79)</sup>. وترك بعض التأليف أشهرها كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.

وتولى شقيقه أبو زكريا يحيى بن محمد بن خلدون (ت 780هـ/1378م) هو الآخر وظائف في بلاطات المرينيين والزيانيين من أهمها كتابة الإنشاء<sup>(80)</sup>، وتورط هو الآخر في دائرة الصراعات السياسية حتى ذهب ضحية لها، وانتهت حياته بنهاية مأساوية في التاريخ المذكور<sup>(81)</sup>.

أما الشق الثاني من حياة يحيى بن خلدون فهو رجل العلم والأدب والتاريخ، إذ عرف بتميزه في الأدب، وتظهر مكانة الأدبية الرفيعة ليحيى من ثنايا الخطاب الذي وجهه له ابن الخطيب، والذي يصف براعته بقوله: "إنَّ البيان يا آل خلدون سكن مثواكم دار الخلود... واستأثر في محابرهم

السيالة، وقضيب رماحكم الميادة والميالة"، وعرف يحي في مجال التاريخ أيضا، وإن لم تبلغ مكانته في هذا المجال مكانة أخيه عبد الرحمن، ويشهد على ذلك كتابه بُغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد.

3- بيت بني سيد الناس اليعمري ببجاية: بيت بني سيد الناس أندلسي الأصل، وتسمية مؤسس هذا البيت بسيد الناس بالأندلس يؤكد على ما بلغه هو وبيته من جاه وسؤدد، واستمر هذا اللقب في عقبه، وقد نبغ عدد من علماء هذا البيت مُدَّ كانوا بالأندلس.

يعد الحافظ المحدث أبو بكر أو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري الإشيلي الملقب ابن سيد الناس (ت 659هـ/1260م)<sup>(82)</sup> أحد أشهر أبناء البيت اليعمري بإشبيلية، وهو الذي نزع إلى بجاية، فولاه أصحاب القرار بها الإمامة والخطابة بجامعها الأعظم<sup>(83)</sup>. وبعد سنوات عدة استدعي إلى تونس من طرف السلطان المستنصر بالله الحفصي<sup>(84)</sup> الذي كان حريصا على تجميع الكفاءات العلمية والنخب السياسية، وذوي البيوتات والحسب إلى حضرته، لى أبو بكر بن سيد الناس دعوة السلطان مفضلا حاضرة الدولة على بجاية، واستطاع أن ينال حظوة عند المستنصر؛ فولاه خطابة الجامع الأعظم الجديد، مع التدريس في المدرسة التوفيقية<sup>(85)</sup>.

وتشير كتب التراجم إلى شخصية أخرى من علماء البيت اليعمري ألا وهو عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس المعروف بأبي محمد الزواوي (ت 681هـ/1282م)، الذي انتقل شابا إلى المشرق، واستقر بدمشق أين أصبح شيخ مشايخ الإقراء بها، كما تولى القضاء لمدة<sup>(86)</sup>. وتفيدنا النصوص التاريخية بثلاثة من أبناء الشيخ أبي بكر بن سيد الناس المترجم له من قبل وهم أبو عمر محمد، وأحمد المكنى بأبي العباس، وبأبي عبد الله، وأخيه أبي الحسين محمد. حصل كل أبناء أبي بكر على نصيب وافر من العلم، إلا أن واحدا منهم فقط - وهو أبو عمر - سلك طريق والده، بينما شق أخواه طريقا مغائرا فـ "عدلوا عن طلب العلم"، حيث فتح لهم قريهم من البلاط باب الطموح للمناصب والجاه.

كان الأمير أبو فارس عبد العزيز بن السلطان أبي إسحاق والمرشح لولاية عهده، على سابق معرفة بابني أبي بكر بن سيد الناس، فاختص أحمد بن أبي بكر بن سيد الناس (ت 679هـ/1280م) بـ بلقب حجابته<sup>(87)</sup>، إلا أن بعض رجال الدولة نجحوا في تخويف السلطان

أبا إسحاق<sup>(88)</sup> من أحمد، وبأنه سيدفع أبو فارس إلى الانقلاب على أبيه، فأمر السلطان بقتله<sup>(89)</sup>.

وقضل أخوه أبو الحسين بن أبي بكر بن سيد الناس (ت690هـ/1291م) هو الآخر الاشتغال بالسياسية رغم تلقيه لنصيب وافر من العلم<sup>(90)</sup>، وبرز في الأحداث التي عرفتها المنطقة منذ سنة 681هـ/1282م على إثر ثورة الدعي أبي عمارة، الذي تمكن من الاستلاء على عاصمة الحفصيين تونس، وعمل على استئصال أفراد البيت الحفصي، ونجا الأميران أبو زكريا بن أبي إسحاق، وأبو حفص عمر الأول بن أبي زكريا.

نجا الأمير أبو حفص بمساعدة بعض صنائع دولتهم، وكان أبو الحسين بن سيد الناس من جملتهم، حيث لاذوا به إلى قلعة سنان معقل هوار<sup>(91)</sup>، ومنها عمل الأمير أبو حفص على استرجاع ملك آبائه، ولما تمكن من القضاء على الدعي ابن أبي عمارة سنة 683هـ/1284م، كافأ منقذيه بالإقطاعات وبالمناصب الرفيعة كالقيادة والحجابة، دون أبي الحسين بن سيد الناس<sup>(92)</sup>، فلحق بالأمير أبي زكريا بتلمسان، التي كان بها لدى صهره السلطان عثمان بن يغموراسن، وأقنعه بطلب ملك أبيه، فلاقى ذلك هوى في نفس أبي زكريا، وساعده في العودة، وتمكن من جذب عدد من المناطق إلى طاعته، واستقر ببجاية التي أصبحت إمارة له، وكافأ ابن سيد الناس بمنصب الحجابة، وقد انتزع من سيده تفويضا بتدبير شؤون ولايته<sup>(93)</sup>. وهكذا أحدث ابن سيد الناس القطيعة بين بجاية وتونس حاضرة الدولة.

بعيدا عن أضواء السياسة كان الشيخ أبو عمر محمد (ت705هـ/1305م) الابن الثالث لأبي بكر بن سيد الناس يؤسس لأسرة علمية نابغة إلا أنه رحل إلى المشرق، واستقر بمصر وتولى مشيخة المدرسة الكاملية، وسلك أبناءه بمصر طريق والدهم في طلب العلم<sup>(94)</sup>.

ومن أبناء هذا البيت الفقيه أبو عبد الله محمد بن الحاجب أبو الحسين محمد (ت733هـ/1332م) الذي نشأ في بجاية، وترعرع في ظل الإمارة وقصورها، لصلته والده بأمير بجاية. أما بروزه على الساحة السياسية فكان مع الأمير أبي يحيى أبو بكر بن أبي زكريا والي قسنطينة، الذي تمكن من اعتلاء عرش المملكة الحفصية خلال الفترة الممتدة من سنة 718هـ/1318م إلى سنة 747هـ/1346م<sup>(95)</sup>.

وكان محمد بن سيد الناس قد دخل في خدمة الأمير أبو بكر منذ كان على رأس قسنطينة، فعينه في سنة 721هـ/1321م على بجاية حاجبا، ووصيا على أميرها الصغير ولده أبي زكريا،

وفي نفس الوقت قائدا عسكريا، إلا أنه استغل صغر سن الأمير، وانشغال والده السلطان أبي بكر بين قسنطينة وتونس وأخذ يصطنع الرجال، ويطلق يده في تسيير شؤون الإمارة. واتسعت صلاحيات ابن سيد الناس لتشمل تدخله في العلاقات الخارجية<sup>(96)</sup>.

وفي سنة 727هـ/1326م أضيف لابن سيد الناس حجابة قسنطينة مع ما كان يتولاها، ثم عين لحجابة السلطان أبي بكر في تونس، وفي نفس الوقت جدد له العقد على بجاية وحجابة أميرها أبي زكريا، وظل نفوذ الحاجب ابن سيد الناس يزداد والسعيات تكثر عليه بسبب استبداده بأمور الدولة ببجاية وتونس، وفي سنة 733هـ/1332م أمر السلطان بالقبض عليه، ثم قتل في السنة نفسها<sup>(97)</sup>.

ومنذ هذا التاريخ تنقطع أخبار بيت بني سيد الناس في المصادر، ولم نتمكن من رصد أي معلومة عنهم إلا بعد أكثر من قرن ونصف، بحيث أشارت أحد المصادر في الربع الأول من القرن 10هـ/16م إلى شخصية علمية تتمثل في أبي يوسف بن الحسين بن علي بن سيد الناس. يبدو أن الشيخ أبو يوسف بن سيد الناس كان من علماء بجاية البارزين في وقته، وقد وردت الإشارة إليه عرضا في كتاب عنوان الأخبار فيما مرّ على بجاية للشيخ أبي علي إبراهيم المريني البجائي، وكان ابن سيد الناس قد خرج مع الأميرين أبي فارس وأبي عبد الله ولدي صاحب بجاية السلطان عبد العزيز في بعض القبائل لرد الغزاة الإسبان على مدينتهم، التي غزاها الكونت بطرس النفاري في جانفي 1510م، ولكنها لم تستسلم بسهولة ودخل أهلها في مقاومة المحتل بقيادة سلطانها وأبنائه، وكان مترجما مشاركا في إحدى المعارك التي وقعت في شهر مارس 1510م، والنص كما ورد في الكتاب: "اندفع ولدا السلطان عبد العزيز، أبو فارس وأبو عبد الله وسط كل هؤلاء المحاربين لخوض الحرب المقدسة مصحوبين بأربعة من علماء المدينة الأجلاء"<sup>(98)</sup>، وذكر منهم: "أبو يوسف بن الحسين بن علي من نسل سيد الناس"<sup>(99)</sup>. إلا أن هذا المصدر لم يذكره مرة أخرى، ولهذا لا نعرف مصير ابن سيد الناس بعد ذلك، فهل تراه استشهد في تلك المعارك التي استشهد فيها الكثير من المسلمين منهم رجال الدين والعلماء والمرابطين، بالإضافة إلى ولدي السلطان عبد العزيز الأميرين أبي فارس وأبي عبد الله.

4- بيت ابن القاضي الثبريني: ينتسب أولاد القاضي الثبريني إلى قبيلة "بني غبرين" البربرية في أعلى وادي سيباو، بالقرب من مدينة بجاية<sup>(100)</sup>، وقد اشتهر أبناء هذا البيت بتداولهم على القضاء ببجاية. أنجب هذا البيت عددا من العلماء أشهرهم الشيخ أبو العباس أحمد بن

أحمد<sup>(101)</sup> بن عبد الله بن محمد بن علي بن عمر، المشتهر بالغبريني (ت 704هـ / 1304م)، وهو من كبار فقهاء المالكية في وقته، وتصفه المصادر بما يدل على ذلك<sup>(102)</sup>، بحيث وصفه ابن خلدون بـ "كبير بجاية وصاحب شوارها"<sup>(103)</sup>، ولي قضاء الجماعة ببجاية، واشتهر بكتابه "عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة ببجاية"، وله أيضا المورد الأصفى والفصول الجامعة<sup>(104)</sup>.

ورغم المكانة التي تمتع بها الغبريني بين معاصريه إلا أن نهايته كانت مأساوية، إذ قتل من طرف أمير بجاية أبي البقاء خالد بن يحيى الحفصي<sup>(105)</sup>، وكان هذا الأمير قد أوفد أحد أقاربه في مهمة إلى سلطان تونس وأرفقه بـ "القاضي أبا العباس الغبريني كبير بجاية وصاحب شوارها، فأدوا رسالتهم وانقلبوا إلى بجاية"، فأشاعت بطانة السلطان أن الغبريني "داخل صاحب الحضرة في التوثب بالسلطان (أبي البقاء)"، ولهذا قتله<sup>(106)</sup>.

وتذكر المصادر اثنين من أبنائه أولهما أحمد بن أحمد بن أحمد الغبريني أبو القاسم التونسي (ت بعد 770هـ / 1363م)، وهو الآخر من كبار العلماء بعصره، تولى الفتيا بتونس والخطابة، وتصدى للتدريس. وثانيهما أحمد بن أحمد بن أحمد أبو سعيد الغبريني (ت نحو 775هـ / 1373م)، وهو محدث من كبار فقهاء المالكية، تولى الإمامة الخطابة<sup>(107)</sup>.

لقد جنت الكتابة التاريخية على أواخر الفترة الوسيطة، ومن نتائج ذلك أن انقطعت عنا أخبار بيت الغبريني كبقية بيوتات المنطقة، ولم نطلع على أخباره حتى العقد الثاني من القرن العاشر الهجري، بحيث وردت إشارة إلى أحد علماء هذا البيت في كتاب "عنوان الأخبار فيما مرَّ على بجاية" لأبي علي إبراهيم المريني البجائي، وهو الشيخ أبو محمد بن أحمد بن القاضي الغبريني (ق 10هـ / 16م)، ووصف بأنه "رجل مثقف (متبحر) في كل العلوم"<sup>(108)</sup>.

شارك الشيخ أبو محمد الغبريني في الأحداث التي عرفت المنطقة إثر احتلال بجاية من طرف الإسبان عام 1510م، فبعد وفاة السلطان عبد العزيز صاحب بجاية خلفه ابنه الأمير العباس، وظل النزاع مستمرا بينه وبين عمه أبي بكر صاحب قسنطينة حول زعامة البلاد الداخلية، ذلك أن الإسبان اكتفوا باحتلال المناطق الساحلية الرئيسية، وشرعوا في إقامة علاقات مع السلطة المحلية لحماية خلفيتهم، والتزود بالإمدادات الضرورية لحاميتهم<sup>(109)</sup>.

ولهذا دخلوا في مفاوضات مع العباس في عام 1511م، فاستعان الطرفان في ذلك بالوسطاء، هذا إذا أخذنا بمصنف المريني الذي جاء فيه: "أن الذي اشتغل كوسيط بينهما هو

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن القاضي الغبريني، وهو رجل مثقف في كل العلوم<sup>(110)</sup>. وأفضت تلك المفاوضات إلى إبرام معاهدة<sup>(111)</sup> بين العباس وأيطونيو دي رافادينا<sup>(112)</sup>. إنَّ ما يهمنا في هذه الأحداث فهو مشاركة أبو محمد عبد الله بن أحمد بن القاضي الغبريني فيها فهو عالم، ومشاركته في المفاوضات تدل على كفاءته، ومكانته من جهة أخرى؛ فهل أبو محمد هذا هو نفسه أحمد بن القاضي مؤسس إمارة كوكو، أو هو أحد أقاربه.

بما أننا لا نتوفر على أدلة لإثبات أو نفي ذلك، نشير إلى أن أوجه الشبه بين الشخصيتين كثيرة جدا، وهذا ما أوقع بعض الدارسين في تردد، فهذا يوسف بنوجيت يتساءل أولا إن كانا نفس الشخصية<sup>(113)</sup>، ثم يعود مرة أخرى ليتناول الموضوع على أنهما شخصية واحدة فيعرف أحمد بن القاضي سلطان كوكو بقوله: "اشتغل أحمد بن القاضي قاضيا لدى السلطان عبد العزيز، وعند احتلال بجاية وحدث التنافس بين أبي بكر وأخيه ثم بينه وبين أبناء أخيه الحجاز ابن القاضي إلى جانب العباس، وقام بدور المفاوض مع رافادينا، وفي هذه الفترة توطدت العلاقة بينه وبين عروج"<sup>(114)</sup>.

ويظهر جليا تردد يوسف بنوجيت في شخصية ابن القاضي في النص الموالي: "أما أصل هذه الشخصية التي لعبت دورا لا يستهان به في تاريخ بلدنا، والذي أسس دولة دام حكمها لقرون، وكذا الوسائل التي استعان بها لإقامة إمارة، فكلها أمور لا تزال مجهولة"<sup>(115)</sup>. أما صالح عبّاد فيذهب إلى أن هذا الوسيط هو ابن مؤسس إمارة كوكو في قوله: "يبدو أن الوسيط بين العباس والإسبان الذي ذكره المبريني هو ابن ذلك الذي تُنسب إليه مملكة كوكو أحمد بن القاضي"<sup>(116)</sup>.

ومحمد بن أحمد بن القاضي هو الذي انقلب على خير الدين بربروس وتحالف مع سلطان تونس سنة 1520م، كما هو مبين في مذكرات خير الدين بربروس، من ذلك هذا النص: "كان ابن القاضي أحد عظماء العرب بالجزائر، كما كان يُكْنَى لي قدرا كبيرا من الصدق والمودة، حاول سلطان تونس أن يخرضه للخروج عليّ إلا أنه لم يوافق على ذلك... الآن توفي هذا الرجل العاقل، وحل محله ولد طائش يدعى ابن القاضي أيضا، فكان أول ما فعله أن اتفق مع سلطان تونس على أن يكونا يدا واحدة ضدي"<sup>(117)</sup>.

فإذا كان هذا الرأي صحيحا فنحن أمام عالمين من بيت واحد هما: أحمد بن القاضي، وابنه محمد بن أحمد بن القاضي الذي وصف من طرف المبريني بالتبحر في العلم.

وبالنسبة لأحمد بن القاضي صاحب مملكة كوكو، فهو من عائلة ذات صيت في القضاء، حظيت لأجيال عديدة بمزلة رفيعة في المملكة الحفصية ببجاية<sup>(118)</sup>، وهو أيضا من العلماء المشهود لهم بالعلم، ولم يجد على طريق أسلافه فاشتغل قاضيا لدى السلطان عبد العزيز آخر سلاطين بجاية<sup>(119)</sup>. وقال فيه معاصره الإمام عبد الله بن محمد الهبطي المغربي<sup>(120)</sup>: "ما رأيت فيمن أدركت من المشايخ من كان على الجادة، وجاء بالتربية النبوية على أصلها المعروف من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه إلا رجلين"، أحدهما هو "...الشيخ أحمد بن القاضي بجبل زاوة"<sup>(121)</sup>.

وخصه صاحب كتاب دوحة الناشر بترجمة وصفه فيها بأنه: "كان من الفضلاء الأخيار، والصلحاء الأبرار، مجتهدا باذلا نفسه وماله في إقامة شعائر الدين، وغزو أعداء الله الكافرين..." إلى أن قال: "وهو كان سبب دخول التركماني لمدينة الجزائر واستيلائهم عليها، وعلى المغرب الأوسط إلى الآن، لحسن ظنه بهم، ومحبته الجهاد في سبيل الله تعالى، وبعد ذلك تنكروا له شأن رياسة المتغلبين، وقتلوه شهيدا رحمة الله عليه في العشرة الثالثة"<sup>(122)</sup>.

الخاتمة: وختاما لهذه الدراسة فإننا تمكنا من رصد أربعة بيوتات في كل مدينة، أنجبت العديد من العلماء المدرسين والفقهاء النجباء والقضاة والشعراء والأدباء لأجيال. هي بيت الفكون، وبيت ابن قنفذ وبيت ابن باديس بقسنطينة، وبيت المشذالي، وبيت بني خلدون، بيت سيد الناس، وبيت ابن القاضي الغبريني ببجاية. ولا شك في أن عدد البيوتات العلمية بهاتين المدينتين كان أكبر من هذا العدد، لأن الحركة الفكرية بما كانت مزدهرة في تلك الفترة، وقد كانت البيوتات العلمية تتأثر بالجو الثقافي السائد، وتؤثر بدورها فيه، وقد ساهمت البيوتات العلمية في كل الفترات التاريخية في انتعاش الحياة الفكرية والثقافية في محيطها، وذلك لحرصها على تعليم أبنائها، كما ساهمت بيوتات قسنطينة وبجاية في السياسة لحرص الدولة الحفصية - كغيرها من الكيانات السياسية آنذاك - على استعمال رجال العلم والأدب في جهازها الإداري.

وبالنسبة لبيوتات قسنطينة الأربعة فقد أنجبت في ظل الحفصيين العديد من العلماء والأدباء، واستمر العلم فيها خلال العهد العثماني، واحتفظت جل هذه البيوتات بأسمائها، إلا بيت ابن قنفذ، فهو إما تلاشى منذ الربع الأول من القرن 11هـ / 17م لوجود عالم من هذا البيت في تلك الفترة، أو أن اسمه تغير إلى اسم ابن الغري كما يفهم من أحد النصوص الواردة في كتاب "منشور الهداية" للفكون.

وفيما يتعلق ببيوتات بجاية فرغم الشهرة التي حظي بها بيت المشذالي وبيت ابن خلدون إلا أنهما اختفيا منذ أوائل القرن التاسع الهجري، ولا يختلف الأمر كثيرا بالنسبة لبيت ابن سيد الناس اليعمري، وبيت القاضي الغريبي فلم نجد من يمثلهم خلال تلك الفترة إلا أننا عرفنا عالما واحدا من كل بيت في الربع الأول من القرن العاشر الهجري (16م)، وبالتحديد خلال الأحداث التي عرفتها المنطقة إثر الاحتلال الإسباني لبجاية.

#### الهوامش:

- 1- يعود أصل الخفصيين إلى أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاني أحد رجالات المهدي بن تومرت العشرة الذين قامت على أيديهم الدولة الموحدية. وخلال القرن 7هـ ولي أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص على رأس ولاية إفريقية، وبعد فترة أعلن أبا زكريا استقلاله عن السلطة المركزية، ونصب نفسه أمرا في حدود سنة 625هـ/1227م. ولهذا يعد أبو زكريا يحيى المؤسس الحقيقي للدولة الخفصية، التي امتد نفوذها في عهده من مدينة الجزائر غربا إلى طرابلس شرقا، وظلت حدودها الغربية متغيرة تبعا للحروب التي عاهاها الخفصيون بين عبد الواد، وخلال القرن 10هـ غزاها الإسبان، ودار بينهم وبين العثمانيين صراع انتهى بانتصار العثمانيين، فأصبحت تونس آيالة عثمانية، وكان ذلك سنة 981هـ/1574م. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، رحلة ابن خلدون، تح: محمد بن تايوت الطنجي، (ط1)، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، 2004. صص: 32، 33، روبر برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الخفصي من نهاية القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، تر: حماد الساحلي. (ط1)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988. ج1، صص: 48-51.
- 2- برنشفيك، المرجع نفسه، ج2، ص: 111، 112. --- 3- المرجع نفسه، ج2، ص: 331. --- 4- تحتل مدينة قسنطينة موقعا استراتيجيا إذ تقع على طريق المواصلات الكبرى الرابطة بين إفريقية وبقية أنحاء بلاد المغرب. ينظر: روبر برنشفيك، المرجع نفسه، ج1، ص: 419. --- 5- ملك الأمير أبو زكريا بن الأمير أبي إسحاق بجاية وقسنطينة وأحسن فيها السيرة، سنة 683هـ، وكان يقسم السنة بين البلدين بجاية وقسنطينة، " وكان يفضل أهل قسنطينة على غيرهم، ولا يفضل عليهم إلا بعد التلطف لهم". ينظر: ابن قنفذ القسنطيني. الفارسية في مبادئ الدولة الخفصية، تح: الشافلي النيفر وعبد الحميد التركي. تونس: 1968. ص: 148.
- 6- ابن قنفذ القسنطيني. المصدر نفسه، ص: 148، 149. --- 7- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر. (ط2)، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980. ص: 268. --- 8- أبو العباس أحمد الخطيب بن قنفذ، أنس الفقير وعز الحقير، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980. ص: 268. --- 9- أبو الحسن أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب بن قنفذ القسنطيني، الوفسيات، تح: عادل نويهض. (ط4)، 1965. ص: 48. --- 10- أبو الحسن أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب بن قنفذ القسنطيني، الوفسيات، تح: عادل نويهض. (ط4)، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983. ص: 330؛ نويهض، المرجع السابق، ص: 270.
- 10- ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الخفصية، ص: 149. --- 11- ابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحقير، ص: 48. --- 12- ابن قنفذ، الوفيات ، ص: 345؛ نويهض، المرجع السابق، ص: 270. --- 13- ابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحقير، ص: 47. --- 14- ابن قنفذ، الوفيات، ص: 355، 356؛ نويهض، المرجع السابق، ص: 270. --- 15- عبد الحفيظ بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأوثان والمعاجم والمشيخات والمسلسلات، نشر باعتناء: إحسان عباس. (ط2)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982. صص: 973، 974.
- 16- أحمد بابا التتبيكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، وضع هوامشه: طلاب من كلية الدعوة، بإشراف: عبد الحميد عبد الله الهرامة. (ط1)، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس (ليبيا)، 1989. الجزء 1-2. ص: 109، 110.
- 17- أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تح: خير الدين شثرة. (ط1)، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، 2012، ج1، ص: 525. --- 18- أبو عبد الله محمد الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والخفصية. تح: محمد ماضور. (ط2)، المكتبة العتيقة، تونس، 1966. ص: 123؛ روبر برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص: 414. --- 19- أحمد بابا التتبيكي، المصدر السابق، ص: 109، 110؛ عبد الرحمن الجليلي، تاريخ الجزائر العام، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1994. ج2، ص: 135، 136؛ نويهض، المرجع السابق، ص: 268. --- 20- روبر برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص: 38. --- 21- المرجع نفسه، ج2، ص: 355. --- 22- المرجع نفسه، ج2، ص: 414. --- 23- التتبيكي، المصدر السابق، ص: 109؛ الزركشي، المصدر السابق، ص: 123. ابن مرم محمد بن محمد المديوني، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتملسان، تح: عبد القادر بويابة. (ط1)، مكتبة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلباس، 2011. ص: 466؛ نويهض، المرجع السابق، ص: 268، 269، الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص: 527.

- 24- أبو عبد الله محمد العبدري، الرحلة المغربية، تقدم: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عناية، 2007، ص: 59؛ التنبكي، المصدر السابق، ص: 155؛ نويهض، المرجع السابق، ص: 27، --- 25- ابن قنفذ، الوفيات، ص: 377؛ التنبكي، نيل الانتهاج، ص: 160؛ نويهض، المرجع السابق، ص: 27، --- 26- التنبكي، المصدر السابق، ص: 160، الحفناوي، المرجع السابق، ج: 2، 122.
- 27- ابن قنفذ، الوفيات، ص: 377، --- 28- أبو عبد الله محمد الزركشي، المصدر السابق، ص: 108، و ص: 110، --- 29- برنشفيك، المرجع السابق، ج: 2، ص: 114-120، --- 30- عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر، (ط1)، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، بوسعادة (ولاية المسيلة، الجزائر)، 2006، ص: 136.
- 31- التنبكي، المصدر السابق، ص: 160؛ ابن قنفذ، الوفيات، ص: 377؛ نويهض، المرجع السابق، ص: 27، --- 32- ابن قنفذ، الوفيات، ص: 376؛ نويهض، المرجع نفسه، ص: 28، --- 33- ابن قنفذ القسطنطيني، أنس الفقير وعز الحقيقر، ص: 92-93؛ التنبكي، المصدر السابق، ص: 160؛ نويهض، المرجع السابق، ص: 27، --- 34- ولد السلطان أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصي بقسنطينة سنة 729هـ، وتولى الحكم سنة 772هـ وظل به إلى وفاته سنة 796هـ. ينظر: الزركشي، المصدر السابق، ص: 107، --- 35- الزركشي، المصدر نفسه، ص: 107، --- 36- ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص: 177، 178.
- 37- ذكر ليون الافريقي بالترتيب كبار رجال الدولة العشرة التابعين للبلاط ملك تونس ومنهم الكاتب الذي يخل المرتبة الخامسة. برنشفيك، المرجع السابق، ج: 2، ص: 53. وليس بالضرورة أن يخل نفس الترتيب في البلاط المحلي في بجاية وقسنطينة ولكن يدل على أهمية هذا المنصب.
- 38- ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص: 190، 191؛ الزركشي، المصدر السابق، ص: 18، --- 39- الزركشي، المصدر نفسه، ص: 148، --- 40- الزركشي، المصدر نفسه، ص: 154.
- 41- كان يطلق على المصالح المالية العمومية للدولة عبارة الأشغال أو الشؤون، أو أعمال أو وظائف دون أي وصف آخر. ومنذ عهد أبي فارس لم يعد صاحبها الرئيس الأعلى لإدارة المالية، ودعي بالمنفذ. ينظر: برنشفيك، المرجع السابق، ج: 2، ص: 67، --- 42- روبرار برنشفيك، المرجع نفسه، ج: 2، ص: 56، --- 43- ذكر عبد الكريم بن محمد الفكون (منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح: أبو القاسم سعد الله، (ط1)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص: 37) أنه توفي 965هـ بينما ذكر التنبكي (نيل الانتهاج، ص: 307) أنه توفي سنة 960هـ، --- 44- عبد الكريم الفكون، المصدر نفسه، ص: 35، --- 45- أحمد المنجور، فهرست أحمد المنجور، تح: محمد حجي، دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1976، ص: 31، 32، --- 46- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (ط1)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج: 1، ص: 382.
- 47- التنبكي، المصدر السابق، ص: 308؛ محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الطباعة والنشر والتوزيع، (د-ت)، 283؛ نويهض، المرجع السابق، ص: 342. عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر، ص: 257، --- 48- أبو العباس أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بجاية، تح: عادل نويهض، (ط2)، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979، ص: 334، --- 49- روبرار برنشفيك، المرجع السابق، ج: 2، ص: 426، --- 50- الغبريني، المصدر السابق، ص: 334-336.
- 51- ينظر هذه المنظومة. أحمد بن قاسم البوني، الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تح: سعد بوفلاقة، (ط1)، منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، عناية، 2007، ص: 148، 150، --- 52- انتقد العبدري، (الرحلة المغربية، ص: 62-67) بعض الكلمات الواردة بها؛ ولهذا خصص أحمد البوني مبحثاً من كتابه "التعريف بونة" ليرد انتقاد العبدري، مبيناً أن الكلمات التي انتقدها صحيحة.
- 53- عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص: 88، --- 54- المصدر نفسه، ص: 50، 51، --- 55- رفيق خلفي، البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3هـ إلى نهاية القرن 9هـ. رسالة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. قسم التاريخ، (2007-2008)، ص: 245.
- 56- روبرار برنشفيك، المرجع السابق، ج: 2، ص: 331، --- 57- أحمد بابا التنبكي، المصدر السابق، ص: 538، --- 58- المصدر نفسه، ص: 150، --- 59- المصدر نفسه، ص: 538، 539؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج: 1، ص: 599، --- 60- أحمد بابا التنبكي، المصدر نفسه، ص: 542، 541-61- المصدر نفسه، ص: 542، 541-62- إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، وكالة المعارف الجليلية، استانبول- دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1955، ج: 2، ص: 202.
- 63- يتسبب بنو خلدون إلى الصحابي الجليل والابن بن حجر الكندي الحضرمي اليمني، دخل حفيده السابع خالد بن عثمان بن هاني بن الخطاب بن كريب إلى الأندلس ذكر ابن خلدون أن بين والابن بن حجر وخلدون ستة آباء، وهذا يعني أنه لم يدخل الأندلس مع جيش الفتح ودخلها في وقت متأخر عن ذلك. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص: 27، 28، --- 64- ابن خلدون، المصدر نفسه، ص: 29، --- 65- المصدر نفسه، ص: 27-32، --- 66- المصدر نفسه، ص: 33، 34، --- 67- المصدر نفسه، ص: 34، --- 68- رفيق خلفي، المرجع السابق، ص: 277، 278، --- 69- ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 34.

- 70- الزركشي، المصدر السابق، ص: 44؛ ابن خلدون، المصدر نفسه، ص: 34؛ برنشفيك، المرجع السابق، ج 1، ص: 112.
- 71- ابن خلدون، المصدر نفسه، ص: 35، --- 72- الزركشي، المصدر السابق، ص: 44. --- 73- رفيق خليفي، المرجع السابق، ص: 280. ---
- 74- ذكر عبد الرحمن بن خلدون في رحلته أسماء العلماء الذين تعلمد عليهم، -ولا بد أن أخويه شاركه في بعض مشائخه- ومنهم: الخطيب ابن مرزوق التلمساني (781هـ)، ومحمد بن عبد الله بن عبد الوار (749هـ)، وأبا عبد الله محمد بن النجار التلمساني (ت 750هـ)، والفيقي محمد بن الصباغ (749هـ)، وأبائه الإمام أبا زيد عبد الرحمن وأبا موسى عيسى، ومحمد بن إبراهيم الأتلي (ت 756هـ)، وأحمد الزواوي إمام المقرئين بالمغرب.
- 75- أحمد بابا التنكي، المصدر السابق، ص: 252. --- 76- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، مواضع متفرقة مثلاً الصفحات: 65، 72، 75، 80، 82، 95، 96. --- 77- ابن خلدون، المصدر نفسه، ص: 188-190. --- 78- ابن خلدون، المصدر نفسه، الصفحات: 205، 208، 272، 299، 300. --- 79- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر نفسه، ص: 74؛ رفيق خليفي، المرجع السابق، ص: 283. --- 80- يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الوار، تح: ألفرد بل. مطبعة بيز فونتانا الشرقية، الجزائر، 1902، ج 2، ص: 238، 76؛ ج 3، صص: 200-202؛ عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، ص: 186.
- 81- حدثت منافسة شديدة بين ولدي الأمير أبي حمز -الذي كان يحيى كاتباً لسره- على حكم وهران، أبي زيان الذي كان حاكماً لها، وأبي تاشفين الذي طمع بتحكمها لنفسه، ولما ماطله والده بطلبه، ظن أبو تاشفين أن الأمر قد تيز من قبل كاتبه يحيى، فقدر له مكيدة ذهب يحيى ضحيتها.
- 82- أبو الحسن أحمد بن الخطيب بن قنفذ، الوفيات. ص: 326. --- 83- الغبريني، المصدر السابق، ص: 291-295؛ رفيق خليفي، المرجع السابق، ص: 259-261.
- 84- السلطان أبو عبد الله المستنصر بالله الحفصي بن المولى أبي زكريا حكم في الفترة الممتدة بين سنتي: 647-675هـ. ينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد الشماخ، الأدلة البينة التوراتية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد العموري. تونس: الدار العربية للكتاب، 1984، ص: 62 وما بعدها. ---
- 85- رفيق خليفي، المرجع السابق، ص: 262. --- 86- نويهض، المرجع السابق، ص: 162.
- 87- كان الحاجب الخليفي في كل من بجاية وقسنطينة يعتبر رديف الأمير الوالي ومساعدته المباشر. برنشفيك، المرجع السابق، ج 2، ص: 55.
- 88- السلطان أبا إسحاق إبراهيم الحفصي حكم في الفترة الممتدة بين سنتي: 678-682هـ. ينظر: الشماخ، المصدر السابق، ص: 75-79.
- 89- ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص: 138. --- 90- الغبريني، المصدر السابق، ص: 295. --- 91- محمد بن إبراهيم الزركشي، المصدر السابق، ص: 48. --- 92- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص: 34، 35. --- 93- رفيق خليفي، المرجع السابق، ص: 264-266.
- 94- منهم: أبي سعيد محمد (ت 728هـ)، وأبي القاسم محمد (ت 749هـ)، وأبي الفتح محمد (ت 734هـ)، الذي بلغ بالبيت اليعمري غاية المجد العلمي، وهو مؤلف أحد أشهر كتب السيرة النبوية المعنون بـ"عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير". ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 4، ص: 100، 101؛ وص: 130-133؛ رفيق خليفي، المرجع السابق، ص: 267. --- 95- أبو عبد الله محمد الشماخ، المصدر السابق، ص: 84-89. --- 96- برنشفيك، المرجع السابق، ج 1، 184، 185؛ رفيق خليفي، المرجع السابق، ص: 270.
- 97- الزركشي، المصدر السابق، ص: 67، 70؛ ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص: 165.
- 98- العلماء الثلاثة الآخرين هم: أبو أحمد بن إسماعيل بن علي كنائي، الحاجب السابق للأمير إبراهيم المتوفى في عهد الأمير العباس، وأبو عيسى بن إبراهيم الهنتائي، المكلف بشؤون السلطان، والداعية أبو علي بن محمد.
- 99- Charles Féraud, *Conquête de Bougie par les Espagnols d'après un manuscrit Arabe*. In *Revue Africaine*, Office des publications Universitaires, Alger, 12 Année, N° : 67, Janvier 1868. P : 253 .
- 100- عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 248. --- 101- تذكر أغلب المصادر أن اسم والده أحمد، وتذكر بعضها أن اسم والده محمد. كوفيات ابن قنفذ، ص: 338. --- 102- وصفه ابن قنفذ (الوفيات، ص: 338) ب: "الفيقي المحدث الجليل الشهير الفاضل قاضي الجماعة"، ووصفه من المحدثين الكنائي ب: "العلامة القاضي الأديب أبو العباس أحمد بن الشيخ الأتيل الصالح أبي العباس أحمد". ينظر: الكنائي، فهرس الفهارس، ج 2، ص: 883. --- 103- ابن خلدون، العمر، ج 6، ص: 719. --- 104- أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ج 1، ص: 518؛ نويهض، المرجع السابق، ص: 249.
- 105- كان أميراً لبجاية وقسنطينة بعد وفاة والده أبو زكريا، ثم أصبح سلطاناً للدولة الحفصية بين سنتي: 709هـ، و711هـ، وتلقب بالناصر لدين الله. ينظر: أبو عبد الله محمد الشماخ، المصدر السابق، ص: 84، 85.
- 106- أغلب المصادر على أنه توفي سنة 704هـ، ومنها ابن قنفذ "الوفيات"، (ص: 339)، إبراهيم بن نور الدين، ابن فرحون، الديباج المنهوب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: مأمون بن محي الدين الجنان. بيروت: دار الكتب العلمية، (ط 1)، 1996. ص: 136، في حين تذهب بعض الكتابات

على أنه توفي سنة 714هـ، ومنها فهرس الفهارس للكتاني (ج2، ص: 883)، وشجرة النور الزكية، وهذا غير صحيح لأن الأمير أبي البقا كان متوفيا في سنة 714هـ. --- 107- التنيكي، المصدر السابق، ص: 104؛ نويهض، المرجع السابق، ص: 249، 250.

108- Charles Féraud, Op.cit. P :342.

109- يوسف بنوجيت، قلعة بني عباس إبان القرن السادس عشر للميلاد، تر: سامية سعيد عمار، تقدم: محفوظ قداش. دار النشر دحلب، الجزائر، 2009. ص: ص: 81-84. --- 110- قتل السلطان عبد العزيز من طرف أخاه أبا بكر، فباع الناس ابنه العباس وهو آخر أبناءه ينظر:

Féraud, Op.cit. P :338.

111- جاء في هذه المعاهدة: "يعترف الإسبان بسيادة الأمير عبد الرحمن (أخو العباس) على البلاد الداخلية (أراضي مملكة بجاية سابقا باستثناء المدن الساحلية)، ويعترف لمولاي عبد الله بحق السيادة على ريف بجاية، وينص البند الأخير على التحالف الدفاعي الهجومي بين الطرفين، ويعتضى ذلك يُعين الإسبان أمير القلعة للوقوف ضد أبي بكر. ينظر: يوسف بنوجيت، المرجع السابق، ص: ص: 95، 96.

112- يوسف بنوجيت، المرجع نفسه، ص: 115. --- 113- المرجع نفسه، ص: 94. --- 114- المرجع نفسه، ص: 110.

115- المرجع نفسه، ص: 115. --- 116- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830. (ط3)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011. ص: 34. --- 117- خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج. (ط1)، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010. ص: 109، وينظر أيضا: ص: 114-124. --- 118- يوسف بنوجيت، المرجع السابق، ص: 122.

119- كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541م)، تر: جمال حمادة. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007. ص: 26، 27؛ يوسف بنوجيت، المرجع السابق، ص: 110.

120- الهبطي (ت 963هـ)، هو من أبرز رجال العلم والتصوف بالمغرب الأقصى. ينظر: محمد بن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر لخاسن من كان من بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تع: محمد حجي. (ط3)، منشورات مركز التراث المغربي، الدار البيضاء (المغرب)، 2003. ص: 15-21. ---

121- المصدر نفسه، ص: 94. --- 122- المصدر نفسه، ص: 114.

**RESUME:** This study was specified to the scietific families in constantine and bougie during the hafsids reign, it enable us to spot 4 families in each city, it gave birth to several scientists and teachers and theologists and judges , poets and literals, the fakoun's family and ibn kounfoud and ibn badis in constantine, and the mshedal's family, and ibn khaldoun's and sid enass's and ibn el kadi al ghobrini's in bidjaya, and there is no doubt that the number of families in these tow cities was bigger than this, because the sientific movement there was florished, and the scientific families were being influenced by the cultural atmosphere that was dominating the two cities, and were influencing it back, and they contributed during all the historical eras in refreshing the cultural and the literal life in thier environnement, and that because they made sure to teach their following generations, also they were involved in polotics since the hafsids state made sure to use men of science and literature in it's administrational system.